

**الحرب الهجينة في الاستراتيجية الروسية اتجاه سوريا:
حروب ما بعد الجيل الخامس**

**Hybrid war in the Russian strategy towards Syria:
Post-fifth generation wars**

نور الهدى لفتاحة*، المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية
leftaha.nourelhouda@enssp.dz

تاريخ القبول: 2021/10/05

تاريخ الاستلام: 2021/07/31

ملخص:

إن مسألة الرؤية الجديدة للاستراتيجية الروسية، في إعادة بناء قوتها العالمية، تظهر من خلال مقاربتها للوضع السوري، معتمدة في ذلك على مختلف الوسائل العسكرية وغير العسكرية، بغية استغلال مختلف نقاط قوتها لتحقيق مصالحها القومية هناك، ما يُظهر العقيدة الهجينة ضمن سياستها اتجاه سوريا.

من خلال هذه الورقة البحثية، وبالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، سنحاول التطرق إلى العلاقة بين مفاهيم الحروب القديمة ومفاهيم الحروب غير النظامية، من خلال تقديم فهم معمق لظاهرة الحروب الهجينة وخصوصيتها الضبابية القابلة للإنكار، ثم مناقشة ملامح ومضامين الاستراتيجية الروسية الهجينة في سوريا، بعدها معالجة مآلات هذه الأخيرة على مجريات الأمن في سوريا خصوصا، وتداعياتها الأمنية والاستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط عموما، وهنا التركيز على التهديدات الهجينة وكيفية رسم استراتيجيات لمكافحتها، نظرا لأهمية الأمن والاستقرار في المنطقة. لتخلص الدراسة إلى أنه على الرغم من أن روسيا لم تلعب الحرب الهجينة في سوريا بصفة كاملة كما هو الحال في أوكرانيا، فإن

* المؤلف المراسل

استراتيجيتها إزاء سوريا شكلت تهديدا واضحا سمح لها بتحقيق أهدافها القومية المسطرة، وعلى ضوء هذا، هناك حاجة ملحة لتجاوز التفكير العمودي القائم على التوفيق بين نظريات الحرب التقليدية، ونهجنا إزاء الحروب والصراعات المعاصرة، إلى تتبع كيفية معالجة الجوانب المرتبطة بالاستراتيجيات التي تعتمد على التكنولوجيات الجديدة وتنمية القدرات المسلحة.

الكلمات المفتاحية: الحرب الهجينة - الاستراتيجية الروسية - الأزمة

السورية - حروب الجيل الخامس - التهديدات الهجينة

Abstract:

The question of the new vision of the Russian strategy in rebuilding its global power comes out through its approach to the Syrian situation, depending on different military and non-military incomes, in order to feat its numerous strengths to attain its national interests there, which obviously shows the hybrid doctrine within its policy towards Syria.

Via this research paper, and based on the descriptive-analytical approach, we will try to address the relationship between the concepts of ancient wars and the concepts of irregular wars, by providing a detailed understanding of the phenomenon of hybrid wars and its undeniable ambiguity, then discussing the structures and consequences of the Russian hybrid strategy in Syria, then speaking the costs of this. The latter will focus on the security course in Syria, its security and strategic outcomes for the Middle East in general; here the focus is on the hybrid threats and how to build strategies to combat the latter. Given the importance of security and stability in the region, the study determines that although Russia did not fully play the hybrid war in Syria as in Ukraine, its strategy concerning the Syrian crisis posed a clear threat, letting it to achieve its established national goals. A crucial necessity to go beyond the straight up thinking based on reconciling traditional war theories and approaches to contemporary wars and conflicts and transgression to trace how to address features related to

strategies which are related to new technologies and development of armed competences

Keywords: Hybrid War - Russian Strategy - Syrian Crisis - Fifth Generation Wars - Hybrid Threats.

مقدمة:

إذا كانت الحروب التقليدية تستلزم تخطي حدود الدول لتحقيق مصالحها، فإن حروب الجيل الجديد بأنواعها تؤكد ما قاله كالأوزفيتز "Clausewitz" في الحرب: " الحرب ما هي إلا امتداد للسياسة بأساليب أخرى"، وذلك لأنها تُخضع العدو دون الحاجة إلى عبور حدوده نتيجة اعتمادها على وسائل تكنولوجية حديثة في تحقيق أهدافها السياسية بأسلوب هجين، بعيدا عن الالتماس المباشر، ما يؤدي إلى توليد الغموض بين السكان والمجتمع الدولي، ويمنع في نفس الوقت من تحقيق الاستجابة السريعة والفعالة، ولعل أكثر ما يشهده عصرنا الحالي هو هذا النوع من الحروب، والمتمثل في الحروب الهجينة الهادفة لطمس الخطوط الفاصلة بين الحرب والسياسة، النزاع والسلام، الجندي والمدني، والعنف في ساحات القتال والمناطق الآمنة، كما هو الحال بالنسبة للتنظيمات الإرهابية، وتلك الصراعات الجديدة في هيئتها التي حصلت في الأزمة بسوريا.

مشكلة البحث

بالحديث عن الأزمة السورية، أعرب العديد عن قلقهم من الاستخدام الروسي لما يسمى بالحرب الهجينة في سوريا، وهذا انطلاقا لمشاركاتها في النزاع السوري، مستهدفة بذلك مقاتلي المعارضة بمختلف وسائلها الجوية والبرية، والجانب المعلوماتي والدعائي.

انطلاقا من هذا يتبين أن الوجود الروسي في سوريا قد مهد إلى حرب هجينة في سوريا، أدت إلى تعقيد مجريات الأحداث السورية، وخلق إشكاليات متعددة تهدد منطقة الشرق الأوسط، وعليه تنشأ بالضرورة مجموعة من التساؤلات التي تقودني إلى طرح الإشكالات القائل: *إلى أي مدى يمكن اعتبار*

الحرب الهجينة في ظل الأزمة السورية استراتيجية فعالة، ناجعة، وهدفا يُنظر إليه من منظور المصالح الروسية؟

تدرج تحت هذه الإشكالية أسئلة فرعية:

- 1- فيم تتجلى مظاهر الحرب الهجينة في الاستراتيجية الروسية تجاه سوريا؟
- 2- ما المصالح الاستراتيجية التي يمكن أن تحققها روسيا من جراء سياستها الهجينة حيال سوريا؟

فرضية البحث

من خلال طرحنا للإشكالية الرئيسية أعلاه، سنعمد في دراستنا على فرضية رئيسية مفادها: تدبير الأزمة السورية يرتبط بالضرورة بالاستراتيجية الحربية الروسية والتدابير التي تتخذها للتخفيف من حدة الأزمة أو تصعيدها، فكلما تراجعت الأطراف الخارجية عن تصعيد الأزمة والتدخل فيها على مختلف المستويات ساهم ذلك في تدبير الأزمة بين الأطراف المباشرة لها.

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف تكمن في:

1. تحديد طبيعة الحرب الهجينة.
2. التعرف على مجمل الاستراتيجيات والتكتيكات الهجينة، المترتبة عن التدخل الروسي في الأزمة السورية، وكيف ستعكس هذه الأخيرة على مجريات الأمن السوري.
3. محاولة تقديم بعض الاستراتيجيات المكافحة للحرب الهجينة.

الإطار النظري والمنهجي للدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وكذا منهج دراسة الحالة، مع التركيز على بعض النظريات على غرار نظرية الحرب المفتوحة لكياو ليانغ "Kyao Liang"، لكونها تجمع العوامل المؤثرة العابرة للحدود، بناءً على أن الحرب الحديثة غير واضحة المعالم بين التكتيكات والعمليات الاستراتيجية العليا والدنيا، ما يعني إلغاء الحدود بين ما هو ميدان معركة

وما ليس بميدان، وبين ما هو سلاح وما ليس بسلاح، بين الجندي وغير المقاتل، بين الدولة وما ليس بدولة، وما هو فوقها، أضف إلى ذلك نظرية حروب الجيل الرابع لوليام ليند "William Lind"، وهي الصيغة المتطورة في الإطار النظري للحرب، إذ تتضمن استخداما هجيناً لكل من الشبكات السياسية المتاحة والاقتصادية، الاجتماعية والعسكرية، وذلك لإقناع صناع القرار لدى العدو بأن أهدافهم إما غير قابلة للتحقيق أو مكلفة للغاية. علاوة على ذلك، نظرية الحرب المركبة لتوماس هوبز "Thomas Hobbs"، باعتبارها تقوم على الاستخدام المتزامن للقوات النظامية والقوات غير النظامية من جهة، الجمع بين عوامل القوة الوطنية وتاريخ الحرب الطويل من جهة أخرى.

الحرب الهجينة: مقارنة مفاهيمية

ترجع جذور النقاش الهجين إلى العديد من المفاهيم التي نشأت في الفترة التي أعقبت نهاية الحرب الباردة وحرب الخليج عام 1991، فعلى سبيل المثال استُخدمت مصطلحات الحرب المركبة / *Composite warfare*، الحرب الهجينة / *Hybrid warfare*، حرب الجيل الرابع / *Fourth Generation War*، حرب الجيل الخامس / *Fifth Generation War* وحرب القطاعات الثلاثة / *War of the three sectors*، لوصف كل شيء من بيئة مستوى استراتيجي عسكري إلى بيئة مستوى تكتيكي عسكري، بطريقة تشوش علينا فهم التهديد والخصم ومستويات الحرب (Deshpande, 2018, p. 06).

لكن ظهور مفهوم الحرب الهجينة كمفهوم واضح كان عام 2002 بالولايات المتحدة الأمريكية، كجزء من أطروحة للدراسات العليا تحت عنوان حرب المستقبل والشيشان: قضية الحرب الهجينة *Future War and Chechnya: A Case of Hybrid Warfare* لوليام نيميث "William Nemeth"، فقد بنى دراسته انطلاقاً من المجتمع الشيشاني وبنيته المختلطة بين دولة ما قبل الحداثة والمعاصرة، وكيف للعلاقات الأسرية أن يكون لها دور مهم في هيكلية الحرب إلى جانب القوات العسكرية.

على العموم، هذا المصطلح في عمل نيميث يعني أساسا وجود طريقة للحرب خاصة بالمجتمع، والتي تجمع بين التكتيكات غير النظامية والمنظمة والتدابير الإعلامية الحديثة (Nemeth, 2002, p. 96).

بعده ظهر المفهوم العام للمصطلح من قبل جيوجينج ميسنر " *Jewgenij Messner*" عام 2005، أثناء صياغة نظريته المعروفة بالحرب المتمردة/ *Rebellious Wars*، كنموذج أولي لمفهوم الحروب الهجينة المتداولة الآن. ووفقا لما ذكره فيما يسمى بالحرب المتمردة، فإن شكلها الأساسي هو العمل غير النظامي (Banasik, 2015, p. 22).

ليأتي بعد هذه الدراسة بحث في مقال لكل من جيمس ماتيس " *James Mattis*" وفرانك هوفمان " *Frank Hoffman*" عام 2005، واللذين أشارا إلى الحروب الهجينة أثناء حديثهما عن حروب المستقبل وصعود ما يسمى بالفواعل غير النظامية واللا رسمية (Hoffman & James , 2005, pp. 18-19).

ليتوسع المفهوم عام 2010 بعد أن أصبحت الاستراتيجية الروسية نموذجا له، انطلاقا من ضمها لشبه جزيرة القرم ودعمها للتمرد الانفصالي في شرق أوكرانيا، علاوة على مشاركتها في الأزمة السورية.

تعريف الحرب الهجينة

يمكن أن يكون تعريف كل من أندرو رادين " *Andrew Radin*" وهوفمان " *Hoffman*" نقطة انطلاق لمناقشة هذا الموضوع.

- تعريف أندرو رادين " *Andrew Radin* " :

"الحرب الهجينة مصطلح وُضع بهدف وصف مجموعة من الأنشطة، سواء أكانت سرية أم أنشطة يمكن إنكارها، والتي تكون بدعم من القوات التقليدية أو حتى النووية، بغية التأثير على السياسة الداخلية للبلدان المستهدفة". (Radin, 2017, p. 05)

- تعريف هوفمان " *Hoffman* " : تُعرف بأنها مزيج بين الأساليب التقليدية والتشكيلات غير النظامية والتكتيكات غير المتناظرة، والأعمال الإرهابية ذات الطبيعة الإجرامية، معبرة بذلك عن شكل فريد من نوعه من حيث التأثير المخطط، من خلال أدوات عسكرية وغير عسكرية" (Banask, 2016, p. 156).

كما أشار هوفمان مرة أخرى إلى ما يسمى بالتهديد الهجين / *Hybrid threat* وعرفه بأنه:

"أي خصم يمثل تهديدا يستخدم في نفس الوقت مزيجا محكما من الأسلحة التقليدية، والتكتيكات غير النظامية والسلوك الإجرامي والفضاء، للحصول على أهدافه السياسية". (Kofman & Rojansky, 2015, p. 02).

وعليه، يمكن أن تُعرف الحرب الهجينة بأنها: ذلك المزيج بين أنواع الحروب المحددة، سواء أكانت تقليدية أم جديدة، التي تهدف لطمس الخطوط الفاصلة بين الحرب والسلم، باستخدام تكتيكات واستراتيجيات خفية قابلة للإنكار، بغية تحقيق أهداف ومصالح معينة.

1- خصوصية الحرب الهجينة وطبيعتها

لمعرفة طبيعة الحرب الهجينة، يتوجب معرفة المراحل التي تمر بها، ثم التعرف على خصائصها التي تميزها عن باقي أشكال الحروب.

- أولا: مراحل الحرب الهجينة: هناك 4 مراحل لشئ مثل هذا النوع من الحروب وهي على النحو التالي:
 - 1- مرحلة الإعداد والتهيئة: تتمثل في تهيئة الظروف المواتية لبدء العملية العسكرية قبل شهر على الأقل إلى عدة شهور وحتى بضع سنوات.
 - 2- مرحلة الدعاية والتضليل: فيها تُجرى عمليات خاصة لتضليل القادة السياسيين والعسكريين والتلاعب بالمجتمع لتغيير سلوكه ومحاولة عزل الشريحة غير الراضية من النظام القائم.

3- مرحلة الاستطلاع: تسبق بدء العملية العسكرية البعثات الاستطلاعية التي تجري تحت غطاء العملية الإعلامية، بما في ذلك القوات الخاصة، وكذلك جميع أشكال وأساليب العمل في مختلف الفضاءات.

4- مرحلة المباغته والمفاجأة: تنطلق هذه المرحلة بتثبيت قذائف مرتكزة على شبكة من الفضاء الجوي موجهة مباشرة إلى مراكز الاتصالات والقدرات العسكرية الرئيسية والمرافق الصناعية، ما يسهل الهجوم البري لدحر نقاط المقاومة المتبقية، ومنه يمكن شن هجوم سريع ضد الدولة المستهدفة والمجتمع الدولي (Bogdanov & CHekinov, 2013, p. 145).

■ ثانياً: خصائص الحرب الهجينة: يمكن رصد أهم الخصائص التي تميز هذا النوع من الحروب سواء من حيث:

الأهداف: تظل أهداف الحرب الهجينة غامضة، تستهدف مواطن الضعف بطرق لا تفكر فيها تقليدياً، لتظل أهدافها بهذا المنظور جانبية بعيدة عن المركز حتى لا تدفع الخصم إلى التفكير في نزاع مفتوح.

الوسائل: تستخدم مجموعة واسعة من الأدوات والتقنيات التي لا يُنظر إليها عادة في تقييم التهديدات التقليدية، بسبب استخدام مزيج مختلف من التكتيكات والاستراتيجيات والهجمات العسكرية والإلكترونية المتزامنة، لجعل الهجمات أقل "وضوحاً" (Cullen & Reichborn-Kjennerud, 2017, p. 10).

مسرح العمليات والفترة الزمنية للحرب: تقوم بالاعتماد على نظرية الحرب المفتوحة المذكورة سلفاً، دون الاعتماد على خطوط ثابتة، الأمر الذي يجعلها تتميز بالمرونة والقدرة على التكيف مع مختلف الظروف والتحديات.

أما فيما يخص الفواعل، فإنها تعرف مشاركة جهات فاعلة غير حكومية باعتبارها لاعبا رئيسياً إلى جانب الدول، وهذا ما زاد الأمر تعقيداً.

ومنه نلاحظ أن المجتمع الدولي قد شهد نماذج تطبيقية متعددة لما يعرف بالحرب الهجينة، سواء على مستوى الدول على نحو مماثل للإجراءات

الروسية في أوكرانيا وإستونيا وجورجيا، أو على مستوى غير دولي كما هو الحال في الشيشان ولبنان وبعدها في أفغانستان (Cullen & Reichborn-Kjennerud, 2016, pp. 1,2).

ليزداد المصطلح انتشارا جراء التدخل الروسي في سوريا حيث بات يُستخدم لوصف التحديات الأمنية والدفاعية المختلفة التي تعرفها منطقة الشرق الأوسط، وعليه فإن تفسير سلوك القوات الروسية في سوريا يعد الأكثر ملاءمة لوصف الحرب الهجينة في القرن الحادي والعشرين.

ملاح ومضامين الاستراتيجية الروسية الهجينة في سوريا

إن الدراسات المتنوعة عن ظاهرة الحرب الهجينة، وما تبعها من نشاطات تجمع بين القوة الصلبة والناعمة، يبدو أنها تدور حول مجموعة متماثلة من النشاطات، مارستها روسيا في كل من أوكرانيا وجورجيا وغيرهما من البلدان المجاورة سابقا، كما تمارسها حاليا في الأزمة السورية، ويُحتمل أن تمارسها في المستقبل، وعلى إثر هذا أشار أندرو مونغان "Andrew Mongan" إلى إعادة الاهتمام الغربي لروسيا وقدراتها الخاصة، لذلك لا يمكن الحديث عن الحرب الهجينة الروسية دون الحديث عن النظرة الروسية لمفهومها.

1- الحرب الهجينة بالنظرة الروسية

يمكن إرجاع الاستخدام الروسي للحرب الهجينة إلى الخلل الذي عرفه الاتحاد السوفيتي بعد انهياره، حيث تراجعت بشكل كبير عناصر كثيرة من قوته، بما في ذلك الجيش، ووفقا لذلك اعترفت روسيا بضرورة إشراك مختلف القدرات الاقتصادية، الدبلوماسية، المعلوماتية والإلكترونية، إلى جانب العمليات العسكرية في الصراعات، سواء على الصعيد القاري أو على الصعيد العالمي، وبهذا يكون انهيار الاتحاد السوفيتي سببا رئيسيا في انتعاج الاستراتيجية الروسية المعمول بها حاليا.

ومن وجهة نظر روسيا، يُعد النهج الهجين المتبع في المذهب العسكري الروسي منذ عام 2014، والذي يجمع بين عناصر القوة الوطنية، بأنه لا يعكس أي استراتيجية حديثة، وإنما يعد تكيفا مع البيئة الجديدة للحروب التي خاضتها الولايات المتحدة منذ أكثر من عقد في العراق، أفغانستان وحتى الفيتنام، وعليه فحسب روسيا تعد الولايات المتحدة السبابة في استخدام هذا النهج، ولكن بمفهوم مغاير حمل نفس المعنى تحت ما يسمى "القوة الناعمة" (Kofman & Rojansky, 2015, p. 09).

ولا يمكن مناقشة هذه النظرة دون الإشارة إلى بعض أعمال رئيس هيئة الأركان العامة الروسية الجنرال جيراسيموف "Gerasimov"، والتي تعد مصدرا هاما لفهم الفكر الروسي، حيث أثارت هذه الأخيرة الكثير من النقاشات حول ما يسمى "المنطقة الرمادية"، بمعنى عدم وضوح الخطوط الفاصلة بين الحرب والسلام، لكن ما نشير إليه في دراستنا هو ذلك المقال المنشور عام 2013م، والذي وصف فيه جيراسيموف الجيل الجديد من الحرب وصفا واضحا، مفاده أن الدروس المستفادة من الربيع العربي هي الكشف الواضح للتغير الحاصل في قواعد الحرب نفسها، انطلاقا من التحول في مناهج الصراعات المطبقة باتجاه الاستخدام الواسع للإجراءات السياسية، الاقتصادية، المعلوماتية والإنسانية، وغيرها من الإجراءات غير العسكرية، ومنه زيادة دور الوسائل غير العسكرية لتحقيق الأهداف السياسية والاستراتيجية، والتي تجاوزت فعاليتها في الكثير من الأحيان القوة العسكرية (Monaghan, 2015, pp. 66-67).

لكن بمعزل عن كل هذا وذاك، فإن العقيدة العسكرية الروسية الحديثة سنة 2015، واستراتيجية الأمن القومي، تشدد على استخدام مجموعة متنوعة من التكتيكات مع استخدام القوات غير العسكرية التقليدية (Oliker, 2015)، وهذا ما أكدته التحركات الروسية في العقود الثلاثة الماضية للتكيف مع الحرب في القرن الحادي والعشرين من جهة، وخلق

هيمنة إقليمية عالمية منافسة للبعبع الأمريكي من جهة أخرى، ولا سيما عند تشخيصنا للاستراتيجية الروسية في الأزمة السورية.

2. روسيا ومقاربتها الهجينة للوضع السوري:

ترجع العلاقات الروسية السورية إلى ما قبل عام 2011م، فقد كان الاتحاد السوفيتي سابقا أول الدول التي اعترفت باستقلال سوريا، وأقامت علاقات دبلوماسية معها عام 1944م، لتتزز هذه العلاقة إلى مستوى التحالف الاستراتيجي في زمن الرئيس حافظ الأسد خلال فترة الحرب الباردة، حيث كانت روسيا الشريك الأول لسوريا في العديد من القضايا، على غرار تجارة الأسلحة، وكما هو معروف تقريبا جميع الأسلحة لدى القوات الحكومية السورية روسية الصنع، كما تحصلت روسيا على مرفق بحري في ميناء طرطوس بسوريا، والذي يمثل القاعدة الوحيدة لروسيا في البحر الأبيض المتوسط، وركزت فيه على 5 عناصر عملياتية داخل البحر الأبيض المتوسط، ومنذ عام 1991م لم تشر روسيا أسطولا عمليا فعلا على هذا الأخير، ولم يتم إطلاقا توسيع مرافق الموانئ لرسو أو دعم أكبر السفن الروسية (H.Cordesman, 2015)، في الوقت الذي كان للولايات المتحدة الأمريكية عدة قواعد في العديد من دول الشرق الأوسط، فكانت سوريا بمثابة الحليف الوحيد لروسيا في منطقة حيوية، والذي لا يمكن الاستغناء عنه رغم كل التغيرات والضعف الدولية.

إن الحقيقة التي عرفتتها سوريا عام 2011م هي وصول شرارة الربيع العربي إلى عقر دارها بتأثير الدومينو، والتي على إثرها اندلعت حرب أهلية انتهت بمشاركة روسيا بشكل غير مباشر بدعوى وقف انتشار الجماعات الإرهابية، لعل أبرزها "داعش" (Eksi, 2017, pp. 115-116)، لتتحول هذه المشاركة إلى تدخل روسي مباشر عام 2015م، وهذا ما يؤكد ويدعم فكرة عدم تخلي روسيا عن قاعدتها الوحيدة في الشرق الأوسط، وعليه كيف سيرت روسيا استراتيجيتها الهجينة الجديدة بالتأمل في سوريا؟

لقد بدأت روسيا تلعب هذه اللعبة منذ بداية الثورة السورية عام 2011- 2012 بطريقة غير مباشرة، من خلال العديد من التصريحات والقرارات الروسية، أبرزها:

- ✓ جانفي 2012: وصول أسطول حربي روسي ضخم إلى الميناء العسكري في مدينة طرطوس، نشرت فيه سفنها لإظهار دعمها لبشار الأسد.
- ✓ نوفمبر 2012: تصريح من قبل رئيس الوزراء ديمتري ميدفيديف بأن بلاده تربطها بسوريا علاقة عمل جيدة.
- ✓ 13 مارس 2013: وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف يحذر من تسليح المعارضة السورية، كما يحذر مرة أخرى من أي تدخل عسكري غربي في 27 أوت 2013.
- ✓ 4 سبتمبر 2013: الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يعلن أن بلاده يمكن أن توافق على عملية عسكرية داخل سوريا.
- ✓ 4 سبتمبر 2013: تصريح روسي بأن القطع الحربية الروسية الموجودة في البحر المتوسط قادرة على التحرك إزاء أي تصعيد في سوريا.
- ✓ 30 سبتمبر 2015: شرعت القوات العسكرية الروسية في سلسلة من العمليات الجوية في سوريا، بالقرب من اللاذقية في الشمال الغربي من سوريا، حيث نشرت روسيا أنظمتها الدفاعية والعشرات من دبابات T-90 عالية التدرج، بالإضافة إلى ما يقارب 2000 عنصر في قاعدتها العسكريتين، إلى جانب قاذفات القنابل Su-24 و Su-34، طائرات الهجوم البرية من طراز Su-25، طائرات الهليكوبتر الهجومية Mi-24 القتالية ذات الارتفاع الهجومي المنخفض، وطائرات الاستطلاع بدون طيار التي قامت روسيا بنشرها في سوريا بشكل أساسي، لتأمين الحماية الجوية ضد أي طيران آخر في المنطقة (tamminga & kaim, 2015).

كانت وتيرة العمليات الجوية الروسية في سوريا عالية جدا، ففي أكتوبر بدأت روسيا عملياتها الجوية بمعدل 20 غارة يوميا مع بداية التدخل، من قبل 34 طائرة و16 طائرة هليكوبتر، ثم ارتفعت بشكل تدريجي إلى 60 غارة،

لتتخفف مع نهاية أكتوبر نظرا للتأثير السلبي على الأهداف الروسية الواضحة، بالإضافة إلى تكييف قوات المعارضة مع الهجمات الجوية الروسية، لتتوسع العملية الروسية بعد ذلك في منتصف نوفمبر 2015 نتيجة إسقاط تركيا لطائرة روسية من طراز *Su 24* بسبب انتهاك مجالها الجوي، وعلى إثرها أعلنت الحكومة الروسية إضافة 37 طائرة طراز *Su-34* و *Su-27*، ما سمح لها بزيادة العدد إلى 127 طائرة يوميا (Gorenburgl Dmitry, 2016, p. 2).

إلى حد الآن، نلاحظ أن الاستراتيجية الروسية اعتمدت على التصعيد التدريجي لخلق ساحة من الإجبار استخدمت خلالها روسيا أسلحة نظامية مسموحا بها، وأخرى مرفوضة دولياً كالقنابل العنقودية والنبالم الحارق، وغير نظامية مثل الحصار، لخلق نوع من الضغوط لتغيير السياسات الخارجية للدول المتدخلة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا.

لم تتوقف الاستراتيجية الروسية عند العمليات والحملات الجوية فقط، بل تعدت إلى استخدام جيشها وترسانتها الهجينة داخل عملياتها، وأبرزها قواتها الخاصة المعروفة باسم "سبيتاز" التي استخدمتها في مهمّتي: الاستطلاع والحماية الخاصة.

مع الوقت، ازداد وصول الجنود من قوات "سبيتاز"، فقد كان هناك ما يقارب 230-250 جندي، إضافة إلى عدد من فريق "مهمات العمليات الخاصة"، بالإضافة لما يقارب 60 عنصراً ومستشاراً عسكرياً من المخابرات العسكرية أيضاً.

وفي نفس السياق، أكدت الحكومة الروسية أن الهجوم البري من قبل القوات السورية يتم تنفيذه تحت غطاء العمليات الجوية الروسية، وهذا ما يؤكد أن القدرات العسكرية البرية الروسية كذلك تم استغلالها، وذلك من خلال نقلها إلى سوريا.

لكن على الرغم من إشراك ترسانتها البرية في هذه الحرب الهجينة، فقد بقيت أقل فعالية من تلك العمليات الجوية، ولهذا ركزت روسيا بشكل

رئيسي على القوات الجوية، خصوصا أن الترسانة الجوية فُعلت أكثر بإضافة وسائل الحرب الإلكترونية، وذلك لضمان سلامة مجالها الجوي (tamminga & kaim, 2015).

كما يظهر الجانب الهجين في استخدام روسيا استراتيجية الجمع بين القوات الجوية التقليدية والإلكترونية من جهة، واقتراها من جهة أخرى بحملة إعلامية شاملة ركزت على نجاحها ضد تنظيم «داعش»، ما مكنها من التأثير على وسائل الإعلام العالمية، كما سمح لها هذا النهج الهجين بانتقاد الإجراءات الأمريكية في سوريا، باعتبارها غير فعالة نسبيا نظرا لقدراتها (kofman, 2016).

بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الحملة الإعلامية أبرزت ذلك الغلاف الاستعراضي للتكنولوجيا العسكرية الروسية، والذي كان بمثابة طريق لمبيعات الأسلحة، مع ارتفاع الصادرات والمبيعات الروسية إلى أعلى مستوى.

على الرغم من أن بوقنة الحرب الهجينة تبقى ضبابية، إلا أنه يمكننا أن نبصر ذلك الأفق في الاستراتيجية الروسية الهجينة تجاه سوريا، من منطلق جمعها بين قدراتها العسكرية التقليدية والحديثة، النظامية وغير النظامية، قدراتها الدبلوماسية والإعلامية، والتي لا يمكن تفسيرها بمعزل عن الاعتبارات الجيوسياسية الروسية من جهة، ومصالحها القومية وفي مقدمتها زيادة أهميتها الإقليمية والعالمية من جهة أخرى، لكن مما لا شك فيه أن هذه الاستراتيجية محكومة بجملة من المعطيات التي أثرت في ديناميكية الوضع الداخلي والخارجي للقضية السورية خاصة، وهددت منطقة الشرق الأوسط عامة.

تأثيرات الحرب الهجينة الروسية على الأمن السوري ومجرياته المستقبلية

يبدو أن التدخل العسكري الروسي على خط الأزمة السورية قد زادها تعقيدا، خصوصا أن هذا التدخل حمل في طياته تكتيكات جديدة ترجمت

لنا ما يسمى بالحرب الهجينة الروسية في الأزمة السورية، لكن قبل التطرق إلى تأثيرات هذه الأخيرة على سوريا، وجب علينا تسليط الضوء على طبيعة التهديد الهجين، وكيف سيؤثر هذا التهديد على الأمن السوري ومجرياته المستقبلية.

1. طبيعة التهديدات الهجينة:

يعود استعمال عبارة التهديد الهجين إلى تحليل قامت به قوات السلاح البحرية الأمريكية للتجارب العملية في العراق وأفغانستان، ففي سنة 2005 كتب الجنرال جيمس ماتيس "James Mattis" عن ظهور طرق غير منتظمة للتهديدات، وُلدت من استغلال أساليب نظامية وغير نظامية، بالإضافة إلى تكتيكات صغيرة وتضخيمها فيما بعد باستعمال الإعلام وحرب المعلومات والدعاية والوسائل الإلكترونية، مشكلة بذلك ما يسمى بالتهديد الهجين.

وعليه حدد هوفمان مجموعة من المتغيرات التي ميزت التهديد الهجين عن التقليدي والذي يشمل:

- وسائل وطرق مختلطة: بمعنى مزيج بين الأساليب التقليدية وغير التقليدية مقترنة بالإرهاب والأنشطة الإجرامية.
- الوقت: توظيف أنماط مختلفة من الصراع في وقت واحد بطريقة متماسكة.
- الاندماج: تتألف التهديدات من مزيج من الجنود المحترفين والإرهابيين، مقاتلي العصابات، المجرمين.
- الإجرام: استخدام النشاط الإجرامي لدعم العمليات (Deshpande, 2018, p. 79)

من خلال تطبيق هذه المتغيرات على الاستراتيجية الروسية، يمكننا أن نفهم كيف ستؤثر الحرب الهجينة الروسية على الأمن السوري وكيفية مواجهتها.

2 انعكاسات الحرب الهجينة الروسية على الأمن السوري:

انطلاقاً من التنامي المطرد للتهديدات الأمنية الهجينة التي خلفتها الأزمة السورية، وصراعها مع داعش، وما تبعها من تدخل روسي مباشر وغير مباشر، أصبحت سوريا أمنياً متأثرة بعوامل اللااستقرار المحلي والإقليمي. ووفقاً لهذا ومن أجل تحليل التهديد الروسي، أقوم بتقسيم تأثير الحرب الهجينة الروسية في سوريا إلى أثرتين محتملين، يتم بناؤهما على أساس شك رئيسي مفاده: هل الاستراتيجية الروسية المختلطة في سوريا ستؤدي إلى انخفاض مستويات العنف في النزاع السوري، أم أنها ستزيد التصعيد أكثر، ما يؤثر على الأمن السوري؟

1 - التحرك الروسي منخفض الكثافة (Meijnders , Der lijn , & Mierlo, 2017, p. 2) (تحرك العنف الناعم): بحسب الدراسة السابقة، تعرضت سوريا للعنف الناعم منذ مدة، انطلاقاً من الدعاية الروسية والهجمات الإلكترونية، وغيرها من وسائل التأثير اللاعنفي، والتي تهدف من ورائه روسيا إلى الحصول على مقدار من التحكم بقرارات جيرانها، وتأمل في إضعاف القوى الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة، بينما تتفادى في الوقت نفسه احتمال صراع عسكري مباشر لا يمكن إنكاره أمام القانون الدولي، لهذه الغايات قد تسعى روسيا لاكتساب نفوذها انطلاقاً من سياساتها التحالفية وتنسيقها مع دول إيران والعراق، علاوة على النظام السوري ومعهم حزب الله، وهذا ما يؤثر في السياسة الداخلية لسوريا فيما بعد، وإثارة انعدام الاستقرار الداخلي، وذلك انطلاقاً من تزايد الاحتقان الطائفي، لأن دخول روسيا مع إيران في سوريا هو بحد ذاته طائفي، وهذا ما وظفته دول الخليج والدول العربية، ولا سيما المملكة العربية السعودية، في ما أسمته بالاحتلال الصفي الصليبي لسوريا، خصوصاً بتدخل كل من تركيا ودول الخليج العربي في البيئة السورية (العيساوي ، 2015 ، صفحة 7).

وعليه ستكون لهذه السياسة الروسية تداعيات سلبية مستقبلا في زيادة حالات التطرف، وجعل سوريا بيئة خصبة لنمو الجماعات المتطرفة، ومنه تسود حالة عدم الاستقرار السياسي.

2 - التحرك الروسي شديد الكثافة (Meijnders , Der lijn , & Mierlo, 2017) (التحرك العنيف الخفي أو التقليدي): فالعنف الخفي قد تستخدم فيه روسيا القوة المسلحة بطريقة تتعذر معها نسبتها إليها أو تكون قابلة للإنكار، وهو حال ما أكدته الحكومة الروسية فيما يخص الهجوم البري من قبل القوات السورية، والذي يتم تنفيذه تحت غطاء العمليات الجوية الروسية. لكن لاحظنا أن العنف الخفي غير مرجح ولكنه ممكن، أما فيما يخص العدوان التقليدي فإنه شديد وأخطر، خصوصا أن هذا العدوان غير قابل للإنكار، وهذا ما تم فعلا من خلال التدخل الروسي المباشر في سبتمبر من سنة 2015م، وما نجم عنه من تأثيرات، خصوصا أن هذا التحرك الروسي على الساحة السورية لم ينطلق من أرضية توافق سياسي مع القوى الرئيسية المؤثرة على الساحة السورية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة، بل هو استكمال لخط الخلاف بين الطرفين حول معالجة الأزمة، ومن ثم قد يساهم هذا التصعيد بالتدخل العسكري في زيادة التوتر بين روسيا من جانب والولايات المتحدة وحلفائها من جانب آخر، وهذا ربما سينتهي بقيام حرب بين القطبين، سواء أكانت حربا بالوكالة أم صداما مباشرا (أبو القاسم ، 2015)، ما يؤدي بدوره إلى التصعيد داخل سوريا وتحولها إلى حلبة للصراع بين الأقطاب العالمية الكبرى.

وعليه يبقى التأثير الأرجح هو تقسيم سوريا، إن لم يكن السيناريو الوحيد لحل الأزمة، لا سيما في ظل التعارض الغربي الروسي وعدم التوافق على مستقبل سوريا، فضلا عن الموقف الغربي والخليجي والتركي، ولهذه الأسباب سيكون خيار التقسيم الطائفي الديني الأقرب، وسيلقي بظلاله على كل المنطقة العربية.

3- **استراتيجيات مكافحة الحرب الهجينة** يستغرق التحدي الذي تمثله الحرب الهجينة الروسية وقتا وجهدا لوضع استراتيجية فعالة والتي ستشمل كحد أدنى ما يلي:

1 - التنسيق التعاوني داخل الولايات المتحدة الأمريكية: على الرغم من الدور الهام الذي تلعبه أمريكا على مستوى مختلف الجوانب، لم تستطع أن تتصدى لاستراتيجيات الحرب الهجينة الروسية وحدها، وهذا ما يتطلب وضع استراتيجية فعالة، ليس فقط للتنسيق الفعال للاستجابة، ولكن أيضا لتوافق الآراء حول تهديد الأمن القومي والدولي.

2 - تخصيص موارد مناسبة لجمع وتحليل المعلومات الاستخبارية في المسرح الأوروبي: على مدى أكثر من عقدين، ظل أمن أوروبا بلا منازع، لكن بدأ هذا الأخير يتناقص نتيجة للتهديدات الروسية والتهديد الذي تشكله الجماعات الإرهابية، ليصبح تتبع الأنشطة الهجينة الروسية ذا أهمية حيوية، يفرض توفير القدرات اللازمة لجمع المعلومات الاستخبارية وتحليلها، وكذلك تطوير علاقات تبادل المعلومات الاستخبارية الوثيقة مع الحلفاء الرئيسيين وحتى الولايات المتحدة، بغية مكافحة الاستراتيجية الهجينة. بالإضافة إلى ذلك يجب أن تكون وكالات الاستخبار مرتبطة بتطبيق القانون قدر الإمكان.

3 - دعم إصلاح الأمن الداخلي وبناء المؤسسات الدفاعية في الدول المستهدفة: مثل البلقان، أوكرانيا وسوريا، وينبغي أن يركز بناء المؤسسات في هذه البلدان على إضعاف أي علاقات باقية مع أجهزة الأمن الروسية، ويجب أيضا تشجيع المجتمع المدني على القيام بدور أكبر في مكافحة التضليل الروسي بغية إغلاق المنافذ الإعلامية الروسية.

4 - الاستخدام الفعال لقوات العمليات الخاصة الأمريكية في منطقة عمليات القيادة الأوروبية الأمريكية: تلعب قوات العمليات الخاصة دورا هاما

في مكافحه الاستراتيجيات الروسية الهجينة في أوروبا، ومع ذلك فإن بيئة العمل في أوروبا تختلف عنها في بلدان مثل العراق وسوريا، وهذا يتطلب بعض التكيف (Christopher, 2017, p. 9).

الخاتمة:

في ختام هذا الموضوع يمكن القول، في إطار الإجابة عن الإشكالية المطروحة في مستهل المقال، بأن: تدخل روسيا في سوريا زاد من حدة تأزم الوضع، ما شكل تهديدا واضحا أثار في الأزمة السورية، سواء من حيث اتساع نطاق العنف غير المنظم بشكل مبالغ فيه، أو من حيث تكريس شكل من أشكال الحرب الباردة الجديدة، انطلاقا من المواجهات غير المباشرة بين الولايات المتحدة وروسيا، والتي قد تقسم المنطقة إلى مناطق نفوذ، ما يعني أن تراجع روسيا عن التدخل العسكري وتصعيد العنف هو الحل الوحيد الذي من شأنه أن يقلل من حدة الأزمة السورية ويقلص تفاقمها، وهذا ما يثبت صحة الفرضية المطروحة في مستهل الدراسة.

من هذا المنطلق، توصلت الدراسة إلى وضع مجموعة من النتائج والتوصيات التي تخدم الموضوع، وتكون بمثابة مسار جديد لفتح أفق بحثية جديدة في هذا الموضوع وتطويره:

- أصبحت الحرب الهجينة من منظور الفكر العسكري الروسي التطور العسكري الأكثر فعالية في القرن الحادي والعشرين.
- نستنتج بأن روسيا استطاعت، من خلال تدخلها العسكري وانتهاج استراتيجية الحرب الهجينة في سوريا، تحقيق جزء من أهدافها الاستراتيجية المسطرة في المنطقة، وذلك من خلال فرض هيمنتها بشكل كبير، مستغلة في ذلك علاقتها السياسية مع الرئيس بشار الأسد.
- من الضروري على الدول تطوير قدراتها العسكرية لمواجهة تهديد الحرب الهجينة، مع إحداث تغيير في طرق القتال التقليدية المبنية على المواجهة المباشرة.

- إنشاء مجموعة من المراكز المتنوعة الإقليمية والدولية لمكافحة الأساليب الحديثة المستخدمة في الحروب الجديدة للمحافظة على الأمن والاستقرار.

- على روسيا تغيير سياستها المنتهجة في سوريا إذا ما أرادت الوصول إلى حل يجنب الشرق الأوسط الدخول في حرب إقليمية قد تدمر المنطقة بأكملها.

قائمة المراجع

- Banasik, M. (2015). How to understand the hybrid war. *Securitologia*(1).
- Banasik, M. (2016). Russia 's Hybrid war in theory and practice. *Journal on Baltic Security*, 2(1), 158.
- Bogdanov, S., & Chekinov, S. (2013). The nature and content of a New Generation War. *Military thought Magazine*(4), 145.
- Christopher, c. (2017). *Hybrid Warfare and what can be Done about it*. Santa monico: Rand coporation.
- Cullen, P., & Reichborn-Kjennerud, E. (2016). WhAt is Hybrid Warfare ? *Norwegian institute of international affairs*(1).
- Cullen, P., & Reichborn-Kjennerud, E. (2017). *Understanding Hybrid Warfar*. A Multinational Capability Development Campaign project.
- Deshpande, V. (2018). *Hybrid Warfare The changing Character of conflict*. India: New Delhi.
- Eksi, M. (2017). The Syrian Crisis as a proxy war and the return of the realist great power politics. *Hybrid Warfare Special Issue*(2), 115-116. Récupéré sur <https://dergipark.org.tr/tr/download/article-file/391797>
- Gorenburgl Dmitry. (2016). What Russia's Military Operation in Syria Can Tell Us About Advances in its Capabilities. *Ponars Eurasia policy Memo*(424).
- H.Cordesman, A. (2015, September 23). *Russia in Syria: Hybrid political Warfare*. Récupéré sur center for strategic and International Studies: <https://www.csis.org/analysis/russia-syria-hybrid-political-warfare>
- Hoffman, f., & James , M. (2005). Future warfare : the Rise of Hybrid wars. *Proceedings Magazin*, 131(2).
- kofman, M. (2016). The Misadventures of Russia and the United States in Syria: Complete Strategy Implosion Edition. *war on the Rocks*.

- Récupéré sur
<https://www.americanprogress.org/issues/security/reports/2016/12/14/295001/u-s-and-russia-relations-under-trump-and-putin/>
- Kofman, M., & Rojansky, M. (2015). A closer look at Russia's "Hybrid War". *Woodrow Wilson International center for Scholars*(07).
- Meijnders, M., Der lijn, j., & Mierlo, B. (2017). *Syria in 2019: four scenarios Implications for policy planning*. THE NETHERLANDS: Netherlands Institute of International Relations Clingendael.
- Monaghan, A. (2015). The "war" in Russia's "Hybrid Warfare". *Parameters winter*(4), 66-67.
- Nemeth, w. (2002). Future war and chechnya: A case for Hybrid Warfare. California, Naval Postgraduate school: Monterey.
- Oliker, O. (2015, January 15). *Russias new Military Doctrine : same as old doctrine*. Récupéré sur Center for Strategic International Studies: <https://www.csis.org/programs/olga-olikers-publications>
- Radin, A. (2017). *Hybrid Warfare in the baltic : Threats and potential responses*. California: Rand Corporation.
- tamminga, o., & kaim, M. (2015). Russia's Military Intervention in syria. *Institute for science politics german institute for international and security policy*.
- العيساوي م. (2015). *التداعيات المستقبلية للتدخل الروسي في سوريا على الشرق الأوسط*. العراق: مركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية.
- محمود حمدي أبو القاسم. (18 نوفمبر 2015). *تداعيات خطيرة: أبعاد التدخل العسكري الروسي في سوريا*. تم الاسترداد من المركز العربي للبحوث والدراسات: <https://rawabetcenter.com/archives/15132>